مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences

ISSN: 1112-9751

عنوان المقال:

تجليّات الموت الرّمزي في روايات " بشير مفتي"

أ. سامية غشير / جامعة باجي مختار- عنّابة

أ. د السّعيد بوسقطة / جامعة باجي مختار- عنّابة

تجليّات الموت الرّمزي في روايات " بشير مفتي"

أ. سامية غشير / أ. د السّعيد بوسقطة

الملخص:

شكلّ الموت هاجسًا أساسًا في الكتابة الرّوائيّة ل" بشير مفتي"، حيث يتمحور كسؤال فلسفيّ يهيمن على مساحات واسعة من النّص السّردي، و يتطرّق الرّوائي إلى موضوعة الموت كرافد جمالي من جهة و من جهة أخرى للتأريخ للواقع المأساوي في فترة التّسعينيّات، و الذّي سادته مظاهر العنف و الموت المختلفة، و التي كانت آثارها وخيمة على شرائح المجتمع خاصّة طبقة المثقفين.

لقد تمظهر الموت في روايات " مفتي" في أشكالٍ عديدةٍ نجد منها الموت الإنساني، موت المكان و الزّمان الموت الرمزي، هذا الأخير الذّي تكوّن من الموت الأسطوري و الموت الصّوفي، والذّي سنحاول أن نتناوله بالدّراسة محاولين البحث في تجليّاته في الرّوايات إضافةً، إلى الدّلالات التي اشتمل عليها.

الكلمات المفتاحيّة : الموت، سؤال فلسفي، الواقع المأساوي، العنف، الموت الإنساني، موت المكان و الزّمان، الموت الرّمزي، الموت الأسطوري، الموت الصّوفي.

Abstract

Death formed the basis obsession in writing fiction for "Bashir Mufti," where is structured as a question philosophical dominates large areas of test narrative, and touches the novelist to placed death esthetic tributary on the one hand and on the other hand, the history of the reality of the tragic in the nineties, and which descended into manifestation violence and various death, which took a heavy toll on the private intellectual class segments of society.

Death manifestation in the novels "Mufti" in many forms we find them humanitarian death, the death of the place and time of symbolic death, the latter which consisted of the legendary death and mystical death, which we will try to eat the study, trying to search in its manifestations in novels as well as indications that included on her.

Keywords: death, philosophical question, tragic reality, the violence, Human death, the death of the place and the symbolic death, the death of the legendary, mystical death.

مقدمة

لقد شكلّ الموت محور العديد من المجالات و الميادين المختلفة، فنلحظ حضوره الطاغي في ميادين شتّى في الأدب، الفلسفة، علم النّفس، علم الاجتماع، في العلوم الدّينية، الفنون و غيرها، و يعزى ذلك لأهميّته الكبيرة كونه يمثّل سؤالًا هامًا من الأسئلة الوجودية التي تشغل الفكر الإنساني، و تشدّه للبحث عن هذه الظّاهرة، كما تجعل الإنسان دائم القلق و التساؤل عنه من جهة، و دائم التأملّ و التبصّر فيه، محاولًا المقارنة بين قيمتي الوجود و الفناء، فالموت مرادف للفناء و هو " نقيض الحياة، الموت فساد الحياة، الموت مرادف للعدم (بالنّسبة للجسد) و غير ذلك."[1]

لقد تناولت الكتابة الرّوائيّة المعاصرة سؤال الموت، و سعت إلى البحث في رمزيته و تجليّاته العديدة و إشكالاته المختلفة، فالكاتب أكثر قدرة على الإحساس بقوّة الموت، و أكثر شجاعةً على مواجهة جبروته و تعميق دلالاته و أكثر " تأملًّا في الوجود و العدم، يستبطن الأشياء، يتغلغل فيها بحثًا عن حقيقتها، يتبعها و هي في أوجّ حركتها و ديمومتها، إنّه يكسر الحاضر الآني منطلقًا إلى الآتي."[2]

و من أبرز الكتّاب الذّين كتبوا في تيمة الموت، و بحثوا في رمزيته نجد الرّوائي الجزائري " بشير مفتي" الذّي مثلّ الموت سؤالًا أدبيًّا و فلسفيًّا أساسًا في رواياته، حيث ربطه بالمأساة الوطنيّة، حتى يبرز عمق المرحلة الصّعبة من حياة الجزائريين، كما طرح أسئلة وجوديّة عديدة عن الموت، الوجود، العدم و غيرها.

و سنحاول من خلال هذه المداخلة الإجابة على هذه التساؤلات:

كيف تمظهر الموت الرّمزي في روايات " بشير مفتي"؟ و كيف ربط الرّوائي بين الأسطورة و الموت؟ و كيف تجلّى الموت الصّوفي؟ و ماهي الدّلالات الرّمزية الصّوفية الموظّفة في الرّوايات؟

1- سؤال الموت في روايات " بشير مفتي"

يمثّل الموت رافدًا جماليًّا في الأدب الجزائري حيث غذّى النّصوص الأدبيّة بتيمة جديدة، حيث يشكّل هاجسًا أساسًا في الكتابة الرّوائيّة، فكما الموت رديف للحياة فهو رديف الكتابة " إذ يضفي على العوالم الأدبيّة التي يشكّلها الكتاب الجزائريّون أبعادًا دراميّة تمثّل رافد إغناء جمالي و دلالي لنصوصهم. فيمثّلون المكان: الجزائر/الوطن في ماضيه كما في حاضره بمناخات الفاجعة و المأساة. و يكون الموت قدر الإنسان الجزائري الممتد في الزّمان، و المشكّل لتاريخه الفردي و الجماعي في آن، ينجزه الفرنسي زمن الاستعمار قمعا للفعل الثّوري المناهض، ثمّ يتابعه الجزائري/ زمن الاستقلال بكثير من الوحشيّة، و العبثيّة ضدّ أخيه الجزائري بالاغتيال الفردي / أو الجماعي ذبحًا أو رميًّا بالرّصاص."[3]

يحضر الموت كسؤال مركزي لأغلب المتون السّرديّة الجزائريّة حيث تعرض تلك الرّوايات المصائر التي لاقتها شخصيّات الرّواية في أزمنة عديدة، و هذه المشاهد الحزينة التي آلت إليها تلك الشّخصيّات " تحيلنا إلى تأملّ شبكة من الثنائيّات يصنعها الموت في مختلف علائقه، من قبيل موت الأنا/ موت الآخر / الموت الطّبيعي/ الموت الطّارئ (قتلا أو انتحارًا)."[4]

لقد شكلّ الموت محور روايات " بشير مفتي" حيث يهيمن على مساحات كبيرة من المتن الرّوائي و الأكيد أنّ الرّوائي يربط الموت بالمأساة الوطنيّة، حيث يبرز عمق المرحلة الصّعبة من حياة الجزائريين تلك الفترة التي شهدت فيها البلاد أحداثًا فجائعيّةً كانت آثارها وخيمة على الشّعب عامّة و طبقة المثقفين خاصّة. حيث يطرح الكاتب أسئلة عديدة حول جدليّة الحياة و الموت، الوجود و العدم و البحث عن المصير، فالرّوائي يحاول أن يرصد حياة " الإنسان المعاصر الذّي

يعيش أزمة تتجلّى في كلّ شيء تهدّده لحظة الصّفر و تأخذه الحركة الدائريّة التي تتسلّى بالعبث."[5]

يتدفق الموت بشكلٍ مهيمنٍ على مساحات المتن الرّوائي لدرجة يتحول إلى نقطة إرتكاز السّرد، فهو يجسّد رؤية الكاتب العدميّة، فهذا الحضور الطاغ لهاجس الموت الكلّي في الرّوايات يجعلنا نستشف حقيقة أنّ الرّوائي يمجّد الموت " و لا يستشعر بتجاوز الفناء، بل إنّ إستجابته تصبح حتميّة أمام حتميّة السّطوة و التّدمير، و قدرته على الموت قدرة عدميّة."[6]

فتجربة الموت عند " مفتي"هي تجربة خاصّة جدًّا، و هي تجسيدٌ لحالات الموت المادّي و المعنوي حيث تطالعنا نفسيّة الرّوائي المتأزّمة، حيث ترتدي الرواية عنده رداء الموت و الفجيعة، موت بالجملة، للحياة و الأمل، للحبّ و الشّجن، موت للقيّم و الضمائر الإنسانيّة، فأضحت الحياة تتلوّن بألوان السّواد و هذا ما جعله ينتصر للموت على حساب الحياة " في ظلّ إشتباك ذاته مع الواقع، و إنشطارها يعاني الكاتب من قسوة الوجود، و ينزع إلى الموت بوصفه مخلّصًا لعجزه.""[7]

لقد سكن الموت في كلّ مساحات المتن السّردي، حيث لا تخلو أيّة رواية من مفرداته و دلالاته المختلفة، فالموت في رؤية الرّوائي " إحساس بالعدم و النفي، و اللّاوجود و التشرّد و الاضطهاد و الذّل و الخنوع، و المهانة و سلب الحريات، و ضياع الهويّات و غربة الوطن، لذا يأتي الموت عنده إنهيارًا تامًّا يغطّي كلّ شيء من حوله."[8]

2- تجلّيات الموت الرّمزي في روايات " بشير مفتي":

- الموت الأسطوري:

تعدّ الأسطورة رافدًا فنيًّا و مرجعيًّا للكتّاب و يعزى ذلك للوظائف العديدة التي تؤديها، و القيّم النبيلة التي تشتملها، فلها دور هام في بلورة الأبعاد الاجتماعيّة و الفكريّة و النفسيّة لذلك ينفتح عليها مختلف الكتاب في بناء نصوصهم، و يوظّفون دلالاتها و أبعادها و جمالياتها. " فالأسطورة تعبّر عن فلسفة الإنسان في الوجود، و هي تعكس بداياته الفكريّة و محاولاته الأولى في معرفة الكون و ما يتصلّ به، فهي عصارة تجاربه و منطقه في التّعامل مع الواقع، كما أنّها جزء لا يتجزأ من تراثه."[9]

كما أنّ الأسطورة ترصد التّاريخ الإنساني و لا تتوقف عند ذلك؛ بل تفسّر و تعلّل مختلف الظواهر الإنسانية فالأسطورة " تعبّر بطريقة رمزيّة عن حقائق خاصّة بالفكر الإنساني و حياته."[10]

فالكاتب لما يستحضر النّماذج الأسطوريّة و يوظّفها في كتاباته من أجل الثّورة على الأوضاع السّائدة لما تحتويه هذه الأخيرة من أسباب النهوض و تغيير الأوضاع المختلفة، فالكاتب " يكون بالضّرورة ناقما على أوضاع عصره، هاربا من زيفه و تصنّعه و تعقيده، و هو إذ يفعل هذا لا بدّ عليه أن يمتلك قدرة على الفهم و التّمثيل و فهم الموقف المعاصر و إذابته في شبيهه الأسطوري، ليكون الكلّ الذّي يعطي الإحساس بالصّدق التلقائي."[11]

يستحضر الرّوائي " بشير مفتي" أسطورة " جلجامش" تلك الأسطورة أو الملحمة الإنسانيّة التي جسدّت قضية إنسانيّة هامّة جدّا و هي قضيّة الصّراع بين الحياة و الموت، الفناء و الخلود، كما أنّها تفيض حسًّا و تعرض مشاعر الأسى و الحزن جرّاء فقدان الأحبّاء و الذّي تمثلّ في الملحمة في فقدان " جلجامش" لصديقه الحميم " أنكيدو" و الإيمان في الأخير بحتمية الموت و أنّ مصير أيّ إنسان هو الفناء.

فهذه الأسطورة التي تروي كما كتب في البقايا الطّينيّة السّومريّة " أنّ شبح الموت كان يطارد جلجامش كما تروي تلك البقايا مغامراته للحصول على الخلود، و تقول إحدى وجهات النّظر بأنّ الملحمة تتعلّق بمراسيم الدّفن؛ لأنّها وجدت في غرفته الموتى في أور، كما تروي الملحمة أنّ قتل صديق جلجامش أنكيدو أدّى إلى حزنه

الشّديد إذ عرف معنى الفناء و الموت، و بدأ يهيم على وجهه في البراري و الهضاب لإيجاد طريقة للخلاص."[12]

كما تروي هذه الأسطورة مغامرات " جلجامش" في سعيه للبحث عن الخلود أنّه بعد تمكنّه من الحصول على النّبات السّحري و لكن " في طريق عودته غالبه النّعاس قرب حفرة ماء و شمّت أفعى الرّائحة الزّكيّة للنبات فسرقته و ابتلعته، و فجأة حصلت الأفعى على قوّة خلع جلدها و أفاق جلجامش ليعرف أنّ مصيره سيكون الموت و بكى بحرقة."[13]

و قد استحضر الكاتب ملحمة "جلجامش" للتأكيد على أنّ الموت هو المصير المحتوم لكلّ إنسان و تتمظهر الأسطورة في رواية " المراسيم و الجنائز" التي يحمل عنوانها دلالات عن قساوة ذلك الواقع الدّموي، الذّي امتلأ بالمصائر الجنائزيّة، يقول:

" إلى أين تمضي يا جلجامش إلى الحياة التي تبحث عنها لن تجدها

فعندما خلقت الآلهة البشر

قسّمت للبشر الموت

و استأثرت في أيديها بالحياة."[15]

فإستحضار ملحمة جلجامش لتعميق أبعاد المأساة الوطنيّة و تبيان حقيقة مطلقة و هي أنّ البشر " مآلهم الموت ولا شيء غير الموت الذي ينتظر الإنسان في كل ركن، وكل يوم ينقضي من حياة الإنسان يكون قد خطا خطوة نحو القبر."[15]

إنّه تصوير لراهن الشّعب الجزائري الذّي يترصد به شبح الموت من كلّ صوبٍ و حدبٍ، فيستسلم لجبروته و قوّته، فلم تكن هناك حقيقة مطلقة غير حقيقة الموت و الفناء التي لا مفرّ منها " إذن لا مفر الآن و أنت هنا مسيّج بكلّ قيود الجبن و الضّعف و الخيبة لا مجال للهرب، لم يعد ثمّة متسّع من الوقت رصاصة واحدة كافيّة لإخماد أنفاسك و قهرك، لتركك جثّة تتخبّط في الفراغ و الدّم. رائحة الموت، هل هي رائحة الحياة؟ لا تغالط شجاعتك الفانيّة. فلم يعد ثمّة مصير آخر ينتظرك إلّا الفناء، لقد جبت البقاع و الأصقاع، الحدود و الخرائط. أتراك تبحث عن معنى لموتك، فليس ثمّة معنى للموت إلّا الذّي منحته الآلهة له. فلم الإصرار على مراوغة القدر و المصير."[16]

إنّ توظيف أسطورة جلجامش ربطه الرّوائي بالأزمة الجزائريّة، أزمة العنف و الموت، إنّه توظيف رمزي يستنهض الرّوح الإنسانيّة و يبرز " تحدّي الشّخوص الواقع و هي المسكونة بحلم التّغيير والبحث عن الخلاص الفردي و الجماعي سيّان و لو كان ذلك بالموت، لأنّه موت باتّجاه الخلود."[17]

فإستحضار هذه الأسطورة اُرتبط بالتّعبير عن أوضاع البلاد الجزائريّة السّياسيّة المتدهورة، التي سادتها مختلف مظاهر الموت و هذا ما جعل من رؤية الموت هي الرؤية السّائدة و المهيمنة على الوجود و الحياة بحيث " تحوّلت رؤى الأشياء إلى موتٍ؛ بل إنّ الموت هو الرؤية الخاصّة التي تفسّر وجوده في رحاب الصّراع، فقد تحوّل الموت إلى أسطورة.. فهذا التّحوّل ليس تصوّرًا فنيًّا فقط إنّه ذو مضمون إيديولوجي أيضًا."[18]

كما انفتحت رواية " أشباح المدينة المقتولة" على أسطورة جلجامش من خلال سعي شخصيات الرّواية الأربعة إلى تحقيق خلودهم المعنوي خاصّة من خلال مقاومتهم الموت و مأساويّة الواقع و عنف الذّاكرة لأجل تحقيق أحلامهم و غاياتهم المثلى، فالأحلام كفيلة لبلورة صمودهم و خلودهم فهنا تكمن فكرة الحياة في الموت " لا تريدنا الذّاكرة أن نموت، تريدنا أن نعيش و أن نبقى على قيد الحياة فإذا متنا ماتت ذكرياتنا معنا كم يبدو الأمر مأساويًا عندما تنفصل أرواحنا عن أجسادنا، و مع الرّوح تذهب الذّكريات إلى مكان آخر تصاحبنا إليه، أو هذا ما يحلو لي أن أتخيّله لكن لا أعرف ماذا سيبقى منها على الأرض، أشياء قليلة على ما أظنّ."[19]

إنّها غريزة التوق إلى الحياة و تحقيق الخلود، و محاربة شبح الموت و العدم و التّطلع الطّبيعي " لدوام الوجود أو التّمسك به تمسكًا تامًّا و كليًا، كشرط لازم لحقيقة وجودنا، و عن هذا التّوق تنبثق الغصّة الكيانيّة التي نحسّ بها كلّما وقفنا أمام تجربة الفقد أو الموت بل أمام تجربة الصّيرورة و التّغيّر، إذ نشعر بإنفلات الوجود منّا إنفلات الزئبق من قبضة اليد، و من هنا ينتج الشّعور بمحدوديّة الذّات على المستوى الفيزيقي و على المستوى الزّماني، و هذا ما يدفع بالإنسان إلى التّطلع إلى عالمٍ لا حزن فيه و لا موت، و هذا التّطلع مظهر من مظاهر الصّراع مع الزّمان و التّمسك بغريزة البقاء."[20]

كما وظّف الرّوائي أيضا أسطورة " العنقاء"، ذلك الطّائر الأسطوري الذّي يموت ثمّ ينهض من رماده و يتشكّل في صور جديدة، يقول الرّاوي " تلك الأرواح التي لم تمت بعد و هي تنشد في موتها حلما آخرا لولادة جديدة.[21]

فالرّاوي هنا يستشرف واقعًا أفضل لتلك الأصوات المقهورة التي قهرتها المدينة/ الحياة التي أعدمت أحلامها الشّاعريّة و رغباتها في العيش في وطنٍ آمنٍ، إنّ تلك الأصوات/ الأشباح المقتولة ذات الأحلام المجهضة المعدمة تعبر نفق مواجعها و تاريخ العنف، لتتشكّل من رماد عذاباتها و تولد من جديد آملةً حالمةً بغدٍ أفضلٍ.

كما وظّف الروائي الرّمز الأسطوري " عشتار" للتّعبير عن قضايا راهنه و مجتمعه، فالرّوائي يستشرف غدًا أفضل، غدًا للبعث و الانطلاق إلى فضاءات البعث و الحبّ و الجمال و السّعادة، فهنا تكمن وظيفة الرّمز الأسطوري و طاقاته في التقاط الدّلالات و الأسرار المشفّرة. " فالرّمز الأسطوري في الأثر الأدبي يعدّ بمثابة تمثيل حدسي يقوم به الكاتب أو المبدع (...)، و هو في رأي البعض لا يتطوّر إلّا داخل العلاقات البشريّة."[22]

فرمز " عشتار" هو رمز أسطوري يوظّف عادةً للأمل و التفاؤل و التّطلع نحو آفاق جديدة، ف "عشتار " هي آلهة الخصب و الحبّ و الجمال و هي " زوجة تمّوز و نزل تمّوز كما نزلت عشتار لعدائهما لارشيكال. و عند وفاتها من هناك نشفت ينابيع الرّبيع على الأرض، و قد تمكن (أيا) من إطلاق سراحها بواسطة خصي ذكر تمكنّ من الحصول على إعجاب آلهة العقم و الموت. و نرى وصفا رثائيّا في إحدى البقايا الطّينيّة حيث تبكي عشتار على موت تموزي. و أنّ موته السّنوي و بعثه و زواجه يدلّ على وجود طقوس للخصب مرتبطة بالدّورة الزّراعيّة."[23]

يقول الرّاوي: " تنبعث الآن في لحظة مجتثة من السّديم لتلقي بك إلى الخارج.. إلى حيث الحبّ ما يزال يفرخ عصافير الفرح و الانتشاء.. إلى حيث الحبّ هو ميلاد للسّعادة و الحياة.. و قتل للقتل و الموت و الفناء.. "[24]

إنّ توظيف رمز "عشتار" لم يكن توظيفًا عبثيًا و لم تولدّه ضرورة فنيّة بقدر ما هو مقصودٌ نابعٌ من حاجة إنسانية هامّة جدّا، إنّه يبرز لنا رغبة الرّوائي، و رغبة الجيل الجديد من الشّباب في تحدّي شيطان الموت، و العزم على بناء الدّولة الجزائريّة التي عانت حروبًا كثيرةً أدّت إلى حدوث انهيارات سيّاسيّة اجتماعية، اقتصادية، نفسيّة، فالموت لم يعد سببًا للخوف بقدر ما " أصبحَ رمزًا للتحدّي و القوّة، و سببًا من أسباب الاستمرارِ و البعثِ."[25]

فهذا الرّمز يحمل دلالات الزّهر و الإنبعاث، و الإيمان " بالحياة و البعث بعد الموت، هذا البعث الذّي تزهر فيه الأرض و تخضر، هي صورة للرّبيع و الحياة."[26]

كما نلحظ توظيف الرّمز الطّبيعي الأسطوري " المطر" في محطّات عديدة من الرّوايات، فالمطر عادةً يرمز إلى الخصب و النّماء و الزّهر، و هو مرتبط في الأساطير القديمة برمزي " عشتار" و " تمّوز" إلاهة الخصب و الزّهر.

فالحياة في مختلف أشكالها و صوّرها ترتبط إرتباطًا وثيقًا بالعنصر الحيوي المطر/ الماء الذّي يعدّ سببًا من أسباب الوجود الإنساني، و تتخذّ ظاهرة المطر دلالات عديدة و رمزيّة مرتبطة ماديّة و معنويّة متصلّة بالإنسان، فهي " رمز الخصب و النّماء، و هي رمز الرحمة و العطاء، و هي رمز الحياة و الوجود و المقام، فلقد سكن الإنسان قديمًا المواطنَ التي يتوفر فيها الماء و الكلأ لأنّهما عنصرا الحياة المهيمن، فهي العامل القوّي للنشاط البشري، فلقد كان الإنسان قديمًا يقوم بطقوس أسطوريّة إذا ما توقف المطر، و الإنسان اليوم يقوم بصلاة الغيث لتنزل المطر؛ لأنّ في هطولها رحمةً و نموًّا و نباتً و عودةً للحياة."[27]

فالمطر يقوم بوظيفة إعادة تخصيب الأرض بعد جفافها و موتها، كما يحمل دلالات عميقة أخرى تشمل الخير و السّلام و الأمان و الازدهار، فالرّوائي يطمح إلى راهنٍ أفضل ينتشر فيه الخصب فتزدهر الحياة و تزهو بألوان الجمال و الألق، و تتدفق السّعادة إلى الأعين التي إحترفت الموت و جفاف المشاعر و أن يعمّ السّلام الأراضي الجزائريّة بعد سنوات من الجمر و القهر و الوجع. غير أنّه سرعان ما يدرك حقيقة يقينيّة أنّ مسلسل الموت ما زال مستمّرا، فيحوّر وظيفة المطر من كونه رمزًا للنّمو و الازدهار إلى وظيفة الموت و الفناء و العتمة.

و يتمظهر رمز المطر في سياقات عديدة نذكر منها: " كان الشّتاء ماطرًا أمطر من كلّ الشّتاءات التي عهدناها من قبل، و خيّل إليَّ أنّه سيدوم إلى وقتٍ أطول، و أنّ الأرض ستغتسل نهائيًّا، لكن السّحب السّوداء ستغطّي السّماء.. إلى مدى لا نهائي.. كأنّه الشّتاء الأخير.. شتاء لكلّ الأزمنة.[28]

في هذا المقطع نلحظ أنّ رمز المطر قد حاد عن دلالاته الطّبيعيّة الأسطوريّة، فبعد أن كان يحمل قيمة عظيمة تتمثل في الحياة في الموت أي إعادة الحياة لمظاهر الوجود و الإنسان أضحى يمثّل رمز للموت في الحياة، فالمطر لم يعد مطر الخير بل مطر لمواسم الموت.

إنّ عنف الرّاهن و مأساويته و سوداويته جعل شتاء الأسى و الفناء تحتل سماوات أرض الجزائر و تغتسلها نزيفًا دموّيًا، فكان شتاء الموت قاسيًّا، و فعلًا استمرّ لسنوات عشرٍ حصدت فيها الكثير من أرواح الأبرياء الذّين دفعوا ثمن تحدّيهم بشاعةَ الحياة و قسوةَ القدر و عنفَ الإنسان، و كم كان هذا الثّمن باهضًا جدًّا.

الملاحظ أنّ الرّوائي لمّا شكلّ هذه الصّورة فهو لم يشكلّها من فراغٍ، و لمّا حاد برمز المطر عن معناه أيضًا لم يكن الأمر عبثًا؛ و إنّما من أجل تقريب دلالات و معانٍ متصّلة بالرّاهن الجزائري الذّي يرفض النّهوض و الإنبعاث من جديد فهذا الأخير ألف الحياة القاسيّة التي نخرت جسده و روحه، فلم تعد مواسم الزّهر تغريه و تلهمه، و لم تعد أحلام و تطلّعات عنفوان الشّباب كافيّةً لتخليصه من بحر مواجعه و جراحاته التي تناسلت على ضفاف الوجود، فهذا الرّاهن كان العثرة في سبيل النّهوض أو بمعنى آخر كان الدّاء في حدِّ ذاته؛ بل الموت بصورة أدق؛ لأنّ أساسه الموت، غايته الموت، هدفه الموت.

لقد أسهمت الأسطورة في تشريح الذّات الإنسانيّة من خلال الرّموز الأسطورية الموظّفة (جلجامش العنقاء، عشتار، المطر...) هذه الرّموز الموظفة التي جسدّت قيمتي الموت و الحياة، و تكمن أهميّتها في " مسألة زيادة إدراكنا لطبيعة النّفس البشريّة عن طريق الرّمز الذّي تتضمنّه الأسطورة بمعنى أنّ قيمتها تبدو في الرّمز الذّي تحيل إليه و توحي به كما تنعكس في تلك الدّلالة التي تحملها في داخلها."[29]

الموت الصّوفي:

- أيقونة الفراشة:

تعدّ الفراشة من الرّموز الفنيّة الجماليّة التي يوظّفها الصّوفيون عادةً من أجل التّعبير عن معاني الشّوق و الصبابة و الفناء في عشق المحبوب سواءً كان وطنًا أم حبيبًا؛ بل يمكن أن نعدّها من أبرز أيقونات المتصوّفة لرصد حالات الاحتراق في نار العشق، فكلّما اِقتربت هذه الفراشة من الضّوء و بسطت أجنحتها النّورانيّة جسدت لنا مشهد الموت الصّوفي في الحبّ.

تعدّ تيمة الحبّ من أبرز التيمات التي كتب فيها الرّوائي " بشير مفتي"، حيث تحضر في كلّ أعماله فشخصياته الرّوائية تعاني من الحبّ الشّديد، و الإفراط في العشق، و الاحتراق بلهيبه، و الفناء في الوصال. و غالبًا ما ترتبط قصص الحبّ بين الأبطال منذ الصّغر. و تتمظهر أيقونة الفراشة في سياقات عديدة نذكر منها: " الموت هو الذّي يوحدن بهذه الحالة، الآن مثل الفراشات قد أتحرّر و أطير، قد أصبح شخصًا آخرًا، روحًا محلّقة، و قد لا يحدث من كلِّ هذا إلّا الإحساس.. تتراكم المشاعر فوق بعضها البعض.. تتراكم.. تنخلق فسحات جديدة.. أقصد اِختناقات قاتلة، أنظر تحت الأرض، تحت ركام الأهواء و الأوهام، أنظمر حتى لا يبق منّي غير دوي الرّعب، جنون الكلام، هوس اللّامعنى، مرض الذّاكرة، عصاب الأحلام."[30]

من خلال هذا المقطع نلحظ حالات عديدة مثل حالة التوحد في العشق إلى درجة الفناء، حالة التفاؤل و الأمل، إضافة إلى مشاعر الخيبة و الخسران و الأوهام، و اللّامعنى و عنف الذّاكرة، فهذا العشق / المحبوب/ الوطن و المشاعر المتناثرة أثّر على الذّات الإنسانيّة و هيمن على خوالجها و جعلها تعيش حالات وهنٍ و حيرةٍ بسبب الحوادث التي أرهقت روح الوطن/ الحبيب، و هذا ما أدّى إلى هلاك الإنسان و فنائه من كثرة التفكير في راهنه الحالي الذّي أثقل كاهله و شوّه جمال الحياة، و أفقده حلاوتها و إيجابيتها.

فحالة العشق من أشدّ الحالات المرضيّة التي تصيب الإنسان خاصّة إذا صاحبها الهوس الشّديد بالمحبوب، فهذه الحالة تشعر الإنسان بالرّغبة الشّديدة و الشّوق و الاحتراق إلى درجة التيه، فتجربة الحبّ أشدّ فتكًا و قسوةً خاصّة إذا قوبل هذا الحبّ بالرفض و الهجر و الفقد.

لقد جسدّ المحبوب/ الكاتب حالة الطموح في البقاء و الفناء في عشق حبيبته "" ميعاد" هذا الشّعور المفعم بالتّصوف و الموت الرّوحاني، فهي التي تمنحه بلسم الفرح و الرّغبة في الحياة، حيث يقول: " قبلك كانت الأمور تسير في نفس المسار، لا شيء يحدث فيّ لكي أتفجرّ، و أندغم في لحظة العيش، ثمّ ظهرت و أنا بالكاد أتملّى غيابي و أقرأ فاتحة صمتي. كنت فراشة الضّوء التي اِنتظرتها بكامل روحي، و يوم شاهدتك بقيت تائها فيك. بقيت طويلًا أتشممّك من بعيد و من قريب."[31]

كما يتجسّد في هذا السّياق أيضًا " شعرت بأنّ هالة تسربت من بين أصابع يدي كذرى الرّمال و اِختفت من قلبها بعد كلّ تلك السّنوات الخاليّات. كم عشنا من لحظات جنون و حالات قصوى للعشق و للرّغبة في أن تضرب الحياة بأقدامنا ككرة قدمٍ و أن نعطي العالم ظهورنا و نحن نسير إلى الأمام، كأنّه صراخ حادّ من أجل أن نبقى في جنتنا الرائعة تلك، كأن نقول لهم.. إذا كنتم تريدون الحرب، فنحن نعشق الحبّ.. إذا كنتم ترغبون في العبوديّة فنحن نهيم بالحريّة.. إذا كان القتل هو سلاحكم فأسلحتنا هي القبل التي تعتق الفراشات من يرقاتها."[32]

تظهر في هذا المقطع التوق الشّديد إلى الحبّ و ما أجمل هذا التّوق! لمّا يأتي مترفرفًا على أجنحة فراشة نورانيّة، فالعشق وجود آخر و عمر آخر و جنّة الرّغبات الحسناء و الأمنيات العذراء في زمن الإنهيار السيّاسي و تدفق الحروب و اِشتعال فتيلها، فثقافة الحبّ تسعى لقهر

ثقافة الحرب عبر أسلحة ناعمة هي القبل التي تتغلب على خوف القتل و تمنح للعاشق الهائم أبديّة مطلقة و حرّية فائقة في سفره الصّوفي المدجّج بمشاعر الصّبابة و الهيام و الشّعف في راهن محترق إستعمرته حماقات العبودية و الإستعباد.

كما يتضّح سعيه إلى تحقيق لذته الجنسيّة و نشوته المغامرة في الإرتحال بين دهاليز المحبوب قصد تحقيق سعادته المثاليّة، كما تمتّد لتحيل إلى الرّغبة الجامحة في البقاء في وطن الجزائر رغم الأزمات و الحروب التي تتربّص به في كلّ مكان و زمان، فلا يكون التّغلب على ذلك إلّا من خلال حالة العشق الشّديد التي وصلت إلى حدّ الفناء.

" أخيرًا أحسست بيديك النّاعمتين تتسلّلان إليّ، و بروحها تطفو فوق مياه قلبي الهادئة، و تسبح براحة و سعادة مكتملة، و وجهها الطّلق كالرّعشات الخفيفة، و هي تغمر جسدًا متعبًا بالحياة و الآمال التي ضاعت في صمت. أخيرًا وحدنا يا فاء. وحدنا في هذه الزّنزانة، عفوًا الزّنزانتين المنقبضتين على روحي، أراك مبتسمة و مضيئة، نافذة تنفتح في صحراء العدم، و تطلّين كعروس بحر، ممتلئة بنشوى الرّحيق، بالمطر المنهمر، إيقاعات العشب حينما يتهادى من سعادة اللّمس، و إحتكاك الرّيح، أنت في و بداخلي، أنا فيك و بداخلك، و عندما يذهبون و ينتهي العالم، سأكون محتميًا بك، و فيك."[33]

لقد تحققت الرغبة في الحياة من خلال تلمس جسد فاء الشّفاف النّاعم و هي ترتعش على أجنحة الضّوء مبتسمةً آملةً، و هي تقذفه بعطرها السّاحر، و ألوانها الحانيّة تضلّله فتغمرها سعادة غامرة، و روحًا مفعمة بالإنتعاش و الإنتشاء الرّوحي كلّما دنت منه، و إقتربت منه توحدّت به، و تماهت في داخله مشكلّة يقين وجوده، كما أنّها تعالجه من مشاكل الحياة و عدميته التي تشكلت بفعل قسوة واقعه، و أحلامه المعدمة.

- الخمرة:

توظف الخمرة عادةً في الأعمال الأدبيّة المعاصرة و في فنّ الشّعر خاصّةً، و يستثمر الكتّاب رمز الخمرة للتّعبير عن لوعة العشق و الإحتراق في الحبّ، و الإتحاد مع الذّات الألهيّة/ الحبيب، فهي من أبرز الأيقونات الفنيّة الرّمزيّة في الكتابات الصّوفيّة. كما أنّ تعبّر عن رؤية الكاتب الوجوديّة، فالخمرة عند " مفتي" تجسيد " جملة من المواقف كطريقة التّعبير عن الحريّة الفرديّة و قضيّة الإتّحاد و الحلول كأساس لحلّ الأزمة الإغترابيّة."[34]

فالخمرة أيقونة العشق تجسّد مشاعر الإشتياق و الحنين للحبّ، ذلك الإشتياق الذّي يتحوّل إلى مرض يفتك الرّوح و الجسد و الوجدان " سيقول الذّين يعرفون العشق و خباياه إنّه الإشتياق الأعمى، أو إنّه الإشتياق و قد بلغ ذروته.. إنّه الحبّ في علوّه و سدرته، يحول جميع صور الأخريات إلى صورتها هي، هي وحدها ملكة النساء و الصّور و الجمال المشتهى."[35]

فالسّكر يفضح صاحبه، فيكشف توهماته و خيالاته، كما يحدّد رؤية وجوده و تقرير مصير حياته و يربطه بذاكرة ماضيه " لم أكن أوهم نفسي أنني سأجد الطّريق؛ لأنّني كنت أردّد مع فلاسفة الصّعلكة و التشرد و الصّوفيّة: " الطّريق هو المهمّ.. الطّريق هو المهمّ.. لكن من لا يرغب في الوصول إلى نقطة الوصول الأخير؟ كلّنا ربّما.. و كلّ أحلامنا تتجمّع في تلك الرّغبة العميقة في داخل الإنسان ليدرك الحقيقة حتى لو كانت وهمًا كبيرًا من بين باقي أوهامنا الكثيرة."[36]

لقد أخذت الخمرة طابعًا رمزيًا ميتافيزيقيًا أخرجها من المعنى الحسّي/ كشراب مادّي إلى المعنى الرّمزي/ كشراب رمزي ميثافيزيقي لفهم الوجود، و تبصّر العالم و إدراك الذّات، و تحقيق لذّة الوصال الصّوفيّة في المحبوب.

3- الدّلالات الصّوفيّة للموت:

تفوح رواية "أشجار القيامة" بعديدٍ الظّواهر الصّوفيّة المنتشرة على مساحات المتن الرّوحيّة، حيث ترسم رحلة صوفيّة إلى عوالم الرّوح، تقودها شخصيّة معذّبة تعيش عالمين عالم الجسد/ الواقع و عالم الرّوح/ الصوفيّة، و كم كانت رحلةً صعبة محفوفة بالعذاب و الشّوق، و الحزن و الفرح، بالألم و الإنتشاء.

الظّاهر أنّ شخصيّة الرّاوي/ السّارد شخصيّة مقهورة مغلوب على أمرها تعيش معلّقة بين عالمين، عالم الحقيقة/ الواقع بعذاباته و جراحاته و مأساويته، و عالم الغيب/ الرّوح و ما يحمله هذا العالم من جماليّة روحانيّة صوفيّة، حيث الصّفاء و نقاء النّفس و صدق المشاعر، و البعد عن الزّيف الأخلاقي و الثّورة على الواقع المدنس بالدّونيات.

إنّ هذه الشّخصيّة تدرك تمام الإدراك أنّها قوّة الفناء قوة جبّارة لا تضاهيها أيّة قوّة أخرى، لذلك نلحظ عليه أنّه مستسلم بصفة كليّة لها دون أدنى مقاومة أو مواجهة لعلمه المسبق بخسارته هذه الحرب التي كشفت أوراقها من أوّل الأمر.

إنّ جراحات الرّاهن و خيباته المتلاحقة، فشل قصص الحبّ، فشل مشروع الثّورة الوهمي، توالي الحروب و الأزمات جبروت الحياة، و قهر الواقع، إنكسارات الجسد، وفاة والدته، كلّ هذه العوامل مجتمعة أثبتت حتميّة الفناء، و عدم قدرة هذه الذّات على المقاومة، لذلك بدت هذه الأخيرة مهزومة، قلقة، عابثة و " عاجزة عن مواجهة مصيرها لكونها تعي حقيقتها، فهي مفردة و وحيدة و أنّها للفناء الذّي يحاصرها من كلّ جانب، و من ثمّة فهي مجبرة على الإستسلام لتلك القوى."[37]

يقول الرّاوي و هي يشرّح اللّحظة و يفتح مواطن الجرح و الذّاكرة " لقد مت. هذا ما أنا متأكد منه، و لكن كيف مت؟ و أين أنا الآن؟ لا أدري. بل لا أذكر. أشعر فقط أنّ كلّ شيء كان غائمًا، و أنّني في الغيم المظلم، و الضّباب الكثيف كنت متشبثًا بفكرة الخروج من الظّلمة إلى النّور من النّفق إلى الحياة. كان هناك من ينادي عليّ، أتصوّر أنّها الحياة أو ما يبقى منها صامدًا لآخر لحظة. كان يدفعني للمقاومة و تحدّي الموت. كان الموت خارقًا و مؤلمًا، و لكن كنت فيه و ظللت أقاوم دون إنحناء.لم أنحنِ إلّا بعد يأسٍ و لكن كنت أرفع رأسي بسرعة. إلى أين كنت أرفع رأسي بسرعة. إلى أين يا ترى كنت أرفع رأسي؟ ممّا كنت أطلب المساعدة؟ لمن كان عليّ التوجه في لحظة كتلك."[38]

تحاول هذه الذّات المعذبة معرفة عالمها الموغل في الزّيف العريّ و الدّناسة، الملغز بالغموض و ترحل إلى عوالم الرّوح بحثًا عن خلاصها و تحرّرها بالإنتماء إلى عالم آخر قادر على إستيعاب طموحاتها الكبيرة و رغباتها المتدفقة " فهي تعي إنكسارها في ظلّ وجودٍ يتسّم بالغياب، و تصبح فيه الأرض منفى لمن أراد الإقامة بل تصبح حيّزًا لذات مهدّمة ترصد كلّ معطيات الإنهيارات حين الموت يسكن كلّ شيء، فيصبح مألوفًا و هادئًا."[39]

كما تسعى أن تبحث عن إجابات يقينيّة لبعض التساؤلات المقلقة و هي معلقة في غرفة الإنعاش، حيث تسافر في رحلة صوفيّة إلى عالم الرّوح/ العالم المقدّس هربًا من الجسد/ العالم المدنس بحثًا عن حقائقٍ تزيل عنها غشاوة بحثها المستمر، و قلقها الوجودي و هي دائمة التساؤل عن ما المعنى من الوجود؟ و لماذا أنا موجود؟

إنّها رحلة روحانيّة عميقة جدًّا تحيلنا على أسفار المتصوّفة الّين " يتخلّون عن عوالمهم و تتمحّى ذوتهم بخلاصهم في اللّه، و إمّا أن تسفر عن قلق إنسان مدمّر يشكّل آلام الإنسان."[40]

داخل غرفة الإنعاش تستسلم الذّات للكلام و هي تبوح بأسرارها المكدّسة منذ أزمنة عديدة، و هي ترتحل في عوالم الرّوح بحثًا عن إدراك ذاتها و وجودها و تحليل علاقاتها بباقي الأشخاص و الأشياء، كما أنّها تغوص في

عوالم التداعي الحرّ و الحلم، إنّها رحلة مفتوحة على المجهول، الفناء، على الاتحاد مع الذّات الإلهيّة، يقول الرّاوي/ السّارد و هو يحكي قصّة ارتحاله بين دهاليز الذّات و بواطن الرّوح " أفكّر في الجهة العليا من الرّوح، و في الجهة السّفلى من الجسد، أفكّر في حياة تبتعد إلى هناك. ما الذّي يختفي هناك وراء كلّ تلك السّحب؟ و عبثًا أستحضر كلّ تلك الأيّام الشّقيّات، عبثًا أنفث الرّوح في الطّين، عبثًا أمزّق الغشاء و أبني بالحجر و الكلمات ما تهدّم من سنين، عبثًا أسعى، هذا الجهد المرهق في التذكّر، أين كنت؟ من أين جئت؟ إلى أين أنا ذاهب."[41]

ففي هذه اللّحظة القدسيّة حيث صفاء السّريرة و نقاء الروح، و المليئة بنفحات الشّوق و التذكّر " يقترب الإنسان من إدراك ذاته، و يحدّد علاقتها بالأشياء، و يستطيع في هذا الوضع أن يكشف ستره و يزيل الحجب، أنّها لحظات التذكّر التي تمنحه وجود آخر، فذات الفرد المشرقة على عوالم الحلم قد اِستهوت بتلك العوالم في رحلتها."[42]

و من الدّلالات الصّوفيّة الموجودة أيضًا نذكر: الشّوق و الحنين للأحبّة و التوحّد بهم، حيث نلحظ العاطفة الجيّاشة المليئة بمشاعر الاحتراق في الوصال، و الوله في المحبوب، و هذا ما يجسّد إتحاد " الإرادة الإنسانيّة مع العاطفة في رغبة ملحّة تدفع بالنّفس إلى تجاوز عالم الحسّ إلى عالم تصل فيه عن طريق الحبّ إلى محبوبها الأوّل التي تدركه النّفس ذوقيًّا."[43]

و من الظواهر الصّوفيّة التي نلحظها في هذه الرّواية فكرة الحياة في الموت، هذه الفكرة التي تطرّق إليها متصوّفة كثر نذكر منهم الشّاعر الصّوفي " الحلّاج". فالموت عنده " يقين يهب الحياة و لا حياة إلّا بهفالحلّاج يرى حياته في موته، حيث الوصل مع المحبوب لا يتّم إلّا بذلك."[44]

و هذا ما يؤكده السّياق الآتي: " الموت لا يتوقف أبدًا مثل الحياة، يتحرّك يمينًا و شمالًا، و في كلّ الجهات يوجد الموت لأنّنا نوجد، لأنّنا هنا، لأنّه لا مفرّ، لأنّه لا بدّ أن نموت، و لأنّه في الحياة شيء ما يشبه الموت، و في الموت شي ما يشبه الحياة، فيهما شيء من بعض، لقاءهم يحدث في داخل الرّوح. أنا أشعر بهذا الآن كأنّهم معًا في. يزغردن من الفرح يبكيان من الحزن."[45]

تعدّ الرّغبة في القتل من أبرز الظواهر عند المتصوّفة، حيث تمثّل علامة من علامات الامتلاء و الموت في الحبيب

فلا تعدّ هذه الرّغبة " قنوطًا أو هربًا أو اِنزواء، بل هي لحظة اِمتلاء بالحياة، و يقين تام بها، إنّ حضور الموت يعني إعادة صياغة جديدة للذّات التي تحلم بإتحادّها مع من تحبّ، فالحياة التي لا تبدأ بالموت و تنتهي به لا تستحقّ أن تعاش."[46]

فالإستشهاد في الحبّ هي أساس الوجود، و الحصول على بهجة الحياة و جمالها: " الحبّ يقتل يا ميعاد.

لماذا لم تقتلينا أنت بالحبّ؟

كان الأحرى بنا أن نموت نحن.

نحن نحن نحن.."[47]

ينفتح هذا المقطع على رغبة الكاتب في القتل و الاستشهاد في الحبّ في سبيل حبيبته " ميعاد" التي أخذها منه الموت فهذا الأخير من يجعله يشعر وجوده، و هذا ما يحقّق الموت الصّوفي ف " الموت/ و القتل/ الإستشهاد هو قانون الحبّ عند اِبن الفارض* بل عند المتصوفة جميعًا."[48]

و عندما يصبح الحبّ جنونًا و مرضيًّا يصبح القتل أمرًا مشروعًا؛ لأنّه الوحيد القادر على تخليص تلك النّفس من عذاباتها، و تقريبها من الطرف الآخر الذّي تتوق إليه و تأمل قربه و وصاله، فهذه الذّات المعذبة المحترقة في نار الوجد و اِنشطارات النّفس و جراحات الواقع ترى فرحتها في الجماع الرّوحي مع المحبوب " الحبّ جنون و أنا جننت بها. لكن جنوني كان مرضيًّا

أعترف بذلك. كان فيه غيرة مرضيّة، فيه خوف مرضي، فيه مشاعرٌ مضطربة على الدّوام.. هذه الأشياء التي تجعل الحبّ جحيمًا و ليس نعيمًا. الحبّ يخلق الصّراع المستمرّ و النّشبث بالآخر حدّ الرّغبة في قتل نفسك أو قتلها هي مصدر العذاب و الغواية."[49]

كما نلحظ الحضور الدّيني الصّوفي في عنوان الرّواية " أشجار القيامة " الذّي يتناص مع القرآن الكريم و يتمظهر ذلك في لفظة " القيامة" التي وردت في مواضع عديدةٍ منها قوله تعالى: " وَ لَا يُكَلِّمَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يزُكِّيْهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ."[50]

فالقيامة هي يوم الحشر، يوم تفنى الدّنيا و يقوم الإنسان ليحاسب و يعاقب على أعماله أمام الذّات الإلهيّة، يقول السّارد و هو يصف هذه اللّحظة/ لحظة الحقيقة " أحسّ بأنّها ساعة الحسم، ساعة الحقيقة ساعة التذكّر، ساعة النّسيان، ساعة يمكن أن يحدث فيها كلّ ما لم أنتظره."[51]

إن هذا التمازج و الإرتباط الحميمي بين الرّواية و الدّلالات الدّينيّة الصّوفيّة يحيل إلى حالة التّوحد و الإنصهار و محاولة إسقاط التّجربة الوجوديّة للسّارد عبر رؤية صوفيّة تقدّس فكرة الفناء الرّوحي، و هذا هو أساس الفكر الصّوفي الذّي يؤمن بفكرة الحياة المتجسدّة في الموت.

خاتمة:

و في الأخير يمكن إستخلاص أهمّ النتائج:

- إنّ روايات " بشير مفتي" تشخيص أدبي لموضوعة الموت، و تناول ميتافيزيقي لإشكاليّة الموت، عبر سرد ممزّق، عنيف، سوداوي، و شخوص تعاني قلقا وجوديّا، و اللّانتماء و التشظّي بين الرّوح و الجسد، فكانت رواياته بحقّ صورة صادقة عن عنف الرّاهن التّسعيني، التي ساده العدم، الموت العبث، الخوف، اللّامعنى من الوجود.

- إنّ استحضار الأسطورة في روايات " مفتي" الموظّفة (جلجامش، العنقاء عشتار، المطر...) هذه الرّموز الموظفة التي جسدّت قيمتي الموت و الحياة، و تكمن أهميّتها في " مسألة زيادة إدراكنا لطبيعة النّفس البشريّة عن طريق الرّمز الذّي تتضمنّه الأسطورة بمعنى أنّ قيمتها تبدو في الرّمز الذّي تحيل إليه و توحي به.

- لقد اُرتبط توظيف الأسطورة بالتّعبير عن أوضاع البلاد الجزائريّة السّياسيّة المتدهورة، التي سادتها مختلف مظاهر الموت و هذا ما جعل من رؤية الموت هي الرؤية السّائدة و المهيمنة على الوجود و الحياة. كما ساعدت الأسطورة على إبراز القضايا الإنسانيّة الوجوديّة مثل قضايا الوجود و العدم، الموت و الفناء، الحريّة و تقري المصير و غيرها.

- و من الرّموز الصّوفيّة التي وظّفها الرّوائي نجد أيقونة الفراشة التي أسهمت في التّعبير عن معاني الشّوق و الصّبابة و الفناء في عشق المحبوب سواءً كان وطنًا أم حبيبًا؛ بل يمكن أن نعدّها من أبرز أيقونات المتصوّفة لرصد حالات الاحتراق في نار العشق لقد أخذت الخمرة طابعًا رمزيًّا ميتافيزيقيا أخرجها من المعنى الحسّي/ كشراب مادّي إلى المعنى الرّمزي/ كشراب رمزي ميثافيزيقي لفهم الوجود، و تبصّر العالم و إدراك الذّات، و تحقيق لذّة الوصال الصّوفيّة في المحبوب.

- و من الدّلالات الصّوفيّة الموجودة في الرّوايات نذكر محاولة الذّوات الإنسانيّة المعذّبة معرفة عالمها الموغل في الزّيف العريّ و الدّناسة، الملغز بالغموض، الغارق في وحل الموت و الفناء و الإنهيارات و الرّحيل إلى عالم الرّوح بحثًا عن خلاصها و تحرّرها؛ لأنّ ذلك العالم الوحيد القادر على إستيعاب قلقها الوجودي و طموحاتها الكبيرة، و رغباتها المتدفقة.

و من الدّلالات الصوفيّة الأخرى نجد الشّوق و الحنين للأحبّة و التوحدّ بهم، حيث نلحظ العاطفة

الجيّاشة المليئة بمشاعر الاحتراق في الوصال، و الوله في المحبوب إلى درجة الفناء.

الإحالات والهوامش:

1- أحمد محمّد عبد الخالق: قلق الموت، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1987، ص13.

2- عبد النّاصر هلال: تراجيديا الموت في الشّعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربيّة، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص16.

3- ينظر: بوشوشة بن جمعة: سردية التجريب و حداثة السّردية في الرّواية العربيّة الجزائرية، المغاربية للطّباعة و النّشر، تونس، ط1 2005، ص87.

4- نسيمة بوصلاح: جدليّة الحبّ و الموت في قصّة البوغي، دار بهاء الدّين للنّشر و التّوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص63.

5- دريد يحي الخوّاجة: إشكاليّة الواقع و التحوّلات الجديدة في الرّواية العربيّة، دراسة وعي مجادلة الواقع الواقع و متغيراته و تقنيات البنية إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2000، ص13.

6- عبد النّاصر هلال: تراجيديا الموت في الشّعر العربي المعاصر، ص20.

7- المرجع نفسه، ص20.

8- المرجع نفسه، ص34.

9- آمال ماي: تجليّات شهرزاد في الشعر الجزائري المعاصر، منشورات دار أبو الأنوار للنشر و التوزيع، الجزائر، دط، 2013، ص53.

10- جون ماكوري: الوجوديّة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1982، ص20.

ص40.

11- المرجع نفسه، ص 222.

12- ينظر، آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى في الطّريحي، المؤسّسة العربيّة للدّراسات و النّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص36.

13- ينظر، المرجع نفسه، ص36.

14- بشير مفتي: المراسيم و الجنائز، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1998، ص7.

15- مخلوف عامر: الرّواية و التحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرّواية الجزائرية المكتوبة العربيّة) دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2000، ص85.

16- المرجع نفسه، ص107.

17- جمال فوغالي: سؤال الكينونة، قراءات في جماليات الإبداع الجزائري المعاصر، موفم للنشر، الجزائر، دط، ص134.

18- عبد النّاصر هلال: تراجيديا الموت في الشّعر العربي المعاصر، ص30.

19- بشير مفتي: أشباح المدينة المقتولة، آمال ماي: منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص12.

20- جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد، التجربة و المآل، مركز البحث في الأنثروبولوجيّة الاجتماعيّة و الثّقافيّة، دط، 2007، ص215.

21- بشير مفتي: أشباح المدينة المقتولة، ص14.

22- آمال ماي: تجليّات شهرزاد في الشعر الجزائري المعاصر، ص269.

23- آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، ص48.

24- بشير مفتي: المراسيم و الجنائز، ص 97.

25- آمال ماي: تجليّات شهرزاد في الشعر الجزائري المعاصر، ص 316.

26- المرجع نفسه، ص 30.

27- المرجع نفسه، ص302.

28- بشير مفتي: شاهد العتمة، منشورات البرزخ، الجزائر، ط1، 2002، ص 156.

29- آمال ماي: تجليّات شهرزاد في الشعر الجزائري المعاصر، ص54.

30- بشير مفتي: بخور السّراب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2004، ص6.

31- المصدر نفسه، ص16.

32- بشير مفتي: شاهد العتمة، ص101

33- بشير مفتي: أشجار القيامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص102.

34- السّعيد بوسقطة : الرّمز الصّوفي في الشّعر العربي المعاصر، ص119.

35- بشير مفتي: غرفة الذكريات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص78- 79.

36- المصدر نفسه، ص81,

37- السّعيد بوسقطة: الرّمز الصّوفي في الشّعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث و الدّراسات، عنّابة – الجزائر-، ط2، 2008، ص268.

38- بشير مفتي: أشجار القيامة، ص8.

39- عبد النّاصر هلال: تراجيديا الموت في الشّعر العربي المعاصر، ص34.

40- السّعيد بوسقطة: الرّمز الصّوفي في الشّعر العربي المعاصر، ص269.

41- بشير مفتي: أشجار القيامة، ص14.

42- السّعيد بوسقطة: الرّمز الصّوفي في الشّعر العربي المعاصر، ص270.

43- المرجع نفسه، ص266.

عبد النّاصر هلال: تراجيديا الموت في الشّعر العربي المعاصر، ص21. **44-**

45- بشير مفتي: أشجار القيامة، ص13.

46- عبد النّاصر هلال: تراجيديا الموت في الشّعر العربي المعاصر، ص21.

47- بشير مفتي: بخور السّراب، ص182.

48- عبد النّاصر هلال: تراجيديا الموت في الشّعر العربي المعاصر، ص22.

49- بشير مفتي: غرفة الذّكريات، ص174.

50- سورة البقرة [174]

51- بشير مفتي: أشجار القيامة، ص12.

*** قائمة المصادر و المراجع:**

*** القرآن الكريم.**

أ- المصادر:

1- بشير مفتي: أشباح المدينة المقتولة، آمال ماي: منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012.

2- بشير مفتي: أشجار القيامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.

3- بشير مفتي: المراسيم و الجنائز، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1998.

4- بشير مفتي: شاهد العتمة، منشورات البرزخ، الجزائر، ط1، 2002.

5- بشير مفتي: غرفة الذكريات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.

ب- المراجع:

أحمد محمّد عبد الخالق: قلق الموت، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1987.**1-**

2- آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى في الطّريحي، المؤسّسة العربيّة للدّراسات و النّشر بيروت لبنان، ط1، 1993.

3- آمال ماي: تجليّات شهرزاد في الشعر الجزائري المعاصر، منشورات دار أبو الأنوار للنشر و التوزيع، الجزائر دط 2013.

4- السّعيد بوسقطة: الرّمز الصّوفي في الشّعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث و الدّراسات، عنّابة – الجزائر- ط2، 2008.

5- بوشوشة بن جمعة: سردية التجريب و حداثة السّردية في الرّواية العربيّة الجزائرية، المغاربية للطّباعة و النّشر تونس ط1، 2005.

6- جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد، التجربة و المآل، مركز البحث في الأنثروبولوجيّة الاجتماعيّة و الثّقافيّة، دط، 2007.

7- جمال فوغالي: سؤال الكينونة، قراءات في جماليات الإبداع الجزائري المعاصر، موفم للنشر، الجزائر، دط

8- جون ماكوري: الوجوديّة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1982.

9- دريد يحي الخوّاجة: إشكاليّة الواقع و التحوّلات الجديدة في الرّواية العربيّة، دراسة وعي مجادلة الواقع متغيراته و تقنيات البنية اِتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2000.

10- عبد النّاصر هلال: تراجيديا الموت في الشّعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربيّة، القاهرة، مصر ط1، 2005.

11- نسيمة بوصلاح: جدليّة الحبّ و الموت في قصّة البوغي، دار بهاء الدّين للنّشر و التّوزيع، الجزائر ط1، 2009.

12- مخلوف عامر: الرّواية و التحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرّواية الجزائرية المكتوبة العربيّة) دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2000.